مثلث الشر والدمار

أما من دواء لهذا الداء ؟

هذا ما يسأله كل مطالع لهذه المقالات . نعم كلنا يود من صميم فؤاده ان يعلم هل لهذا الداء من دواء ؟ هل لهذا السيل الجارف من مد منيع يصد طغيانهُ ويحول دون طموحه ؟ هل لهذه النار الآكلة آلة اطفاء تصب عليها مياهاً غزيرة تخمد اتقامها وتقطع السنة لهبها ؟ والجواب ان دواء هذا المثلث ليس أسوء الحظ مما يباع عند الصيادلة ولا هو من الادوية القريبة التناول والسهلة التداول والاَّ لم تعم شروره ولم تطم سيول اضرارهِ

وعا يعين هذه العلة الوبيلة على التأصل والتمكن ان المصابين بها قلما يشعرون بوجوب الاستشفاء وطلب العلاج . والذين يعنيهم امرهم من اهلهم واقربائهم ويرون الخطر المحدق بهم والموت المخيم عليهم يثنيهم الاهمال والتراخي او ضعف العزم والجنان الكاذب عن السعي في التدارك والتلافي او يقعد بهم التواكل والتخاذل عن النهوض للعمل فيتقصرون من ذلك كله على التأسف والتحسر والانصراف الى الشكوى من اهمال الحكومة والانحاء عليها باللائمة لتقصيرها في تدارك الخطب الواقع قبل ان اتسع خرقهُ على الراقع

وتلك عادتنا في كل خلل تتقاعد عن اصلاحه فنهمل الواجب علينا ونحاول الناء تبعة التفريط والاهمال على عاتق الحكومة كأنها هي كل شيء ونحن لسنا بشيء على الاطلاق او كأننا نسى او نتناسى اننا نحن والحكومة واحد من هذا القبيل وان محاولة نسبة التقصير اليها في هذا الامر لا ينقص مثقال ذرة من ثقل مسؤوليتنا . وليست الحكومة بقادرة وحدها على درء الخطر واستئصال شأفة الشر مهما اشتد ساعد اهتمامها وتوفرت وسائل احتياطها . يجب عليها ان تعمل على قدر ما تسمح لها القوانين والامتيازات ولكن من الغارة والخرق اللذين لا بد لها ان نتوقع منها اصلاحاً للخلل وتلافياً لهذا الخطب الجلل ما لم نشرع في ذلك نحن انفسنا نسير وندعوها الى السير معنا . ومن العبث الذي لا عبث بعدهُ ان نحاول صد تيار مثلث الشرور والدمار عن العامة ما دام كثيرون من الخاصة غارقين في لجهِ وعاملين على زيادة طموهِ وطغيانهِ كأن ثروتهم او وجاهتهم تجوز لهم الممنوع وتحلل المحرم

اذاً يجب ان يبدأ الاصلاح الحقيقي من البيوت فتطهر من كل ما يفسد اذهان الاولاد ويعدهم منذ الصغر لقبول هذا الداء بالتمثل والاقتداء ثم يضاعف السهر عليهم وهم يحبون ويكبرون بحيث لا يفارقون البيوت خطوة الاَّ والوالدون واثقون من جهة انتفاء الخطر فيها

على حياتهم الادبية ومما ينبغي ان يذكرهُ الوالدون الاغنياء هذا القول الحكيم

« ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء اي مفسده »

اي انهُ من اكبر مفسدات اخلاق الشبان ان يكونوا اغنياء وليس لديهم اعمال يصونهم تساطيها عن التعرض للتجارب في ظل الفراغ والبطالة

والمدارس على انواعها مسؤولة عن تبعة التقصير في تقوية المناعة الادبية في التلامذة والتلميذات فعليها ان تهتم اشد الاهتمام باقتناء اساتذة ومعلمين يكون ادبهم اكثر من علمهم حتى يكون نجاح التلامذة في تحصيل طهارة الاخلاق وحسن الآداب اكثر مما في تحصيل العلوم والمعارف . وعلى الخطباء والكتاب ان يجعلوا هذا الموضوع من اهم ما تدور عليهِ خطبهم ومقالاتهم حتى يزداد جمهور السامعين ومعاشر القراء اقتناعاً بشدة استشراء هذا الشر ووجوب الاسراع في تجنبهِ والابتعاد عنهُ

ولا بد لي هنا من الاشارة الى تهمة يلصقها كثيرون ببعض الخطباء والشعراء والكتاب والمؤلفين الذين يحترون ألسنتهم واقلامهم لتحريم المكر والمنكر والفتك وتحذير الناس من شرها وعلى ايديهم آثار ارتكابها وارجلهم تجري في طريق ابوابها فان صحت هذه التهمة كان عملهم هذا مما يوجب اشد الحزن والاسف لانهُ اية فائدة ترجى من كلام من يحض الناس على الامانة مثلاً ثم يسبق اللصوص الى سرقة بيع الله ومساجده . ولله ما اغبى امرءاً يصر على عدم الانتهاء بقول القائل : —

« لا تنهَ عن خلق وتأتي مثلهُ عار عليك اذا فعلت عظيم »

ولا يسعني السكوت عن بعض الجرائد التي تتم من الحكومة استمر خطوة تخطوها في سبيل محاربة هذه الآثام كما فعلت احدى الصحف الاوربية في العاصمة يوم حملت على سعادة هرفي باشا حكمدار البوليس وصوبت اليهِ سهام الطعن والتقريع لانهُ حتم بوجوب اقفال ابواب الملاهي واحانات الساعة الثانية بعد نصف الليل ولم يأذن في تركها مفتوحة الى الصباح . فاشبعتهُ ذماً في مقالات متوالية نشرتها بعنوان « ايها الاولاد استعدوا للنوم »

بقي ان بعض الشبان الغرباء الذين يؤخذون بحبائل هذه الشرور الحية يشكون امر الشكوى من خلو العاصمة والاسكندرية وغيرهما من امهات مدن القطر من غرف للمطالعة واندية لالقاء الخطب والمباحثات العلمية والادبية وغير ذلك مما يعينهم على قضاء اوقات الفراغ بما ينفع ويفيد ويبعدهم عن معاثر المطايب ومزالق المفاسد . ويشكون ايضاً من ان اكثر بيوت الاصدقاء والمعارف التي يستفيدون جدّاً من زيارتها وثم الماماً توصد ابوابها

دونهم فيصبحون في عزلة ووحشة لا يقوون معها على مقاومة التدرج من الشهوات الى الملاهي والمراقص والحانات والمقامر وغيرها

اما من حيث غرف المطالعة والاندية الادبية فذلك موضوع آخر لا اتعرض لهُ الآن. واما شكواهم من اقفال بعض البيوت في وجوههم فلا تخلو من الصحة ولكن ليذكرن اولئك الشاكون ان بعضهم لم يحسنوا التصرف في البيوت التي فتحت لقبولهم على السعة والرحب بل اساءوا استعمال هذا الامتياز النافع المفيد لذلك ترى كثيرين من ارباب البيوت يحذرون اشد الحذر من هذا القبيل ولا يفتحون ابواب بيوتهم الاَّ لشبان يثقون بحسن آدابهم وصحة مبادئهم وطهارة اخلاقهم . والذين هم كذلك يجدون اينما ذهبوا ابواباً مفتوحة لقبولهم وايدياً ممدودة للترحيب بهم

وفي الختام اقول لكل فتى يطالع هذه المقالات : — احذر ايها الشاب من السكر . ابتعد عن سمهِ الزعاف وتنكب اسمهُ الفظيع . لا تلمس مسكراً ولا تدن قطرة من كأسهِ الى شفتيك ولا تجالس سكيراً ولا تدخل باب حانة في حياتك . وكلما تعرضت للدخول في هذه التجربة تذكر قول سليمان الحكيم « الخمر مستهزئة والمسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم » ولا تنسَ نصيحتهُ « لا تكن بين شربي الخمر المتلفي اجسادهم »

واحذر ايضاً اشد الحذر من طريق الخلاعة ومفسدات الآداب . اياك ورذيلة المنكر التي هي من اقبح الرذائل واقطع الشرور . ابتعد جهدك عن كل نجاسة واحرص كل الحرص على نفسك وصنها من الانغماس في ما يعيث بالآداب ويشوه محاسن الاخلاق ويخدش جبين الحشمة وتجنب معاشرة او مجالسة او محادثة من يغريك بارتكاب هذه الخطيئة الكبيرة واهرب منهُ هربك من الافعى وتنكبهُ كما تتنكب الاوبئة الخبيثة والامراض المعدية . سد اذنيك عن سماع كل كلمة يندى لها محيا العفة واغمض عينيك عن رؤية ما يقدح بالطهارة واقذف من حالق بكل كتاب او قصة تنفث سموم الخلاعة وتبث روح الاثم والدعارة واذكر ما قالهُ سليمان الحكيم في سفر امثاله وقد نظمت بعضهُ في ما يلي :

فالاجنبية لها يا أبتي شفه تقطر شهداً ولم ما ألطفه
لكن عاقبتهُ كالصبر احدُّ من سيف صقيل فادر
اقدامها الى الممات جاريه خطواتها ممسكة بالهاويه
عنها أمل طرقك يا ابني واجتنب عن باب بيتها ابتعد لا تقترب
ومنهُ : — لتروق من الشريرة الاجنبية الـ ـتي ملقها قبلاً على غيرك انطلى

فلا يولعنَّ القلبُ منك بحسنها ولا تأخذنَّ اهدابها منك مقتلا
ايحتضن الانسان ناراً ويأمن الـ حريقَ لثوب طيةُ النار اشملا
ايقدم انسانٌ على الجمر ماشياً ولا تكتوي رجلاهُ كيًّا معجلا
كذا كل من يطغى حليلة صاحب لهُ اثمٌ من منها دنا لن يحللا
فضرباً وخزياً واجدٌ بعد فعلهِ وعاراً على طول المدى متأصلا

ومنهُ: — لانني من كوتي اشرفتُ وخلف ظاتي لقد وقفتُ
رأيت في البنين بين الجهلا فتىً بلا عقل ولا فهم ولا
فاستقبلتهُ امرأةٌ مباغيهْ خبيثة القلب يزي زانيهْ
بكل صخب وجموح لُفتُ اقدامها في بيتها لا ثبتُ
طوراً هنا وتارةً هناكا عند الزوايا تنصب الاشراكا
فأمسكت بهِ لهُ مقبّله وبوقاحة غدت تقول لهْ
لقد خرجتُ ملتقاك طالبه من كل قلبي ان اراك راغبه
ومخدعي فرشت مع سريري بانفس الكتان والحرير
هلمَّ نرتوِ الى الصداحِ ودًّا ونغنم بالهوى اللذاتِ
مضى وراءها لوقتهِ كما ثور الى المذبح او كما رمى
بنفسهِ الى القيود قدمُ حتى يشقَّ القلبَ منهُ سهمُ
كطائر عدا الى الفخ ولا يدري بأنَّ لنفسهِ ساق اللبى
والآن ايها البنون لي اسمعوا واصغوا الى ما قالهُ في وعوا
عن طرقها أمل خطاك واجتنبْ من كل مسلك لها لا تقتربْ
لانها كم من جريح جندلت وكم قويّ اضعفت وقتلتْ
وطرق بيتها طريق الهاويهْ الى خدور الموت حقًّا هاويهْ

واعلم ان القمار ابو المعاصي وأم الآثام ورأس المعايب والمذام وهو على اختلاف انواعهِ « رجس من عمل الشيطان » وشر لعنة ابتلي بها الانسان من قديم الزمان والمراد بهِ التحصيل في الغنى بلا تعب ولا نصب وتحصيل الثروة بغير حق ولا سبب وقد قال سليمان الحكيم « المستعجل الى الغنى لا يبرأ » وقال ارميا النبي « عجلة تحصن ما لم تبض محصل الغنى بغير حق في نصف ايامهِ يتركهُ وفي آخرتهِ يكون احمق » فطوبى لمن انتهى وحاد والسلام على من اتبع سبل الهدى والرشاد

اسعد داغر